Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (6), Issue (13) : 30 Nov 2022
P: 130 - 147

ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (6)، العدد (13) : 30 نوفمبر 2022م
ص: 130 - 147

The Constraints on valuing local products in the oasis systems: (The palm fruit production in oases of the Middle Daraa as a model)

Moulay Hfid Rachidi

Naciba Bouzid

Faculty of Arts and Humanities || Hassan II University || Morocco

Ahmed Bouhamed

Higher School of technology || Sultan Moulay Suleiman University || Morocco

Abstract: Palm trees are considered the most important component of the ecosystem in the oasis, and the cornerstone of its economy. They also play an essential role in protecting from desertification creeping in addition to their contribution to the creation of a local climate that preserves the other types of vegetation and agriculture.

This article treats problematic questions related to the valuation of dates in the ecosystem of oases given the salient role of those trees. The study attempted to monitor the potentials of the oases in the Middle Daraa in terms of the variety of dates' species, the extent of the oasis field, in addition to the local farmers' skills in dealing with dates and the interventions of the actors in the valuation of dates as it is one of the main goals of the green Morocco plan.

The study has concluded that the fragility of the natural environment, the weakness of the actors interventions and their lack of effectiveness in overcoming the structural imbalances facing the dates sector, is constituting the most important constraints facing the process of valuing dates in the middle Daraa , as a result of dealing with the oasis system with an approach that did not take into consideration the peculiarities of this fragile field, especially the coercion to manage the scarcity of water resources and the small size of the exploitations

Keywords: Oasis – Local products - Valorization - Middle Daraa – The palm.

موانع تثمين المنتوجات المجالية بالمنظومات الواحية: (منتوج التمور بواحات درعة الأوسط نموذجا)

مولاي حفيظ الراشيدي

نسيبة بوزيد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية || جامعة الحسن الثاني || المغرب

أحمد بوحامد

المدرسة العليا للتكنولوجيا || جامعة السلطان مولاي سليمان || المغرب

المستخلص: يشكل النخيل أهم العناصر المكونة للمنظومة البيئية الواحية، والركيزة الأساسية لاقتصاد الواحة، إضافة إلى الدور البيئي الهام والمتمثل في كونه حاجزا طبيعيا أمام زحف التصحر، ويساهم النخيل في خلق مناخ محلي، يلعب دور الوقائي بالنسبة لباقي أنواع الغطاء النباتي والزراعات التي تصاحبه.

يطرح المقال تساؤلات إشكالية مرتبطة بتثمين التمور بالمنظومة البيئية الواحية، نظرا للدور الأساسي الذي يلعبه النخيل داخل هذه المنظومة، وقد حاولت الدراسة رصد الإمكانات التي تختزنها واحات درعة الأوسط من حيث تنوع أصناف التمور، وامتداد المجال الواحي، بالإضافة إلى مهارات الفلاح المحلي في التعامل مع التمور، بالإضافة إلى رصد مختلف تدخلات الفاعلين لتثمين التمور بواحات درعة الأوسط، حيث شكل تثمين التمور أحد المحاور الأساسية للتنمية الفلاحية بالواحات المغربية، في إطار مخطط المغرب الأخضر.
وخلصت الدراسة، إلى أن هشاشة الوسط الطبيعي وضعف تدخلات الفاعلين وعدم نجاعتها في تجاوز الاختلالات البنيوية التي تواجه قطاع التمور، تشكل أهم الاكراهات التي تواجه عملية تثمين التمور بدرعة الأوسط، فرغم المجهودات التي بذلت من أجل تثمين منتوج التمور، تظل النتائج المتحققة دون مستوى طموحات الفاعلين، وذلك نتيجة التعامل مع المنظومة الواحية بمقاربة لم تراعي خصوصيات هذا المجال الهش، وعلى رأسها إكراه تدبير ندرة الموارد المائية وصغر حجم الاستغلاليات.

الكلمات المفتاحية: الواحة- المنتوجات المجالية- التثمين- درعة الأوسط- النخيل.

1- المقدمة

يعد تثمين المنتجات المجالية، أحد الأهداف الأساسية لمخطط المغرب الأخضر، باعتبارها بديلاً واعدًا للتنمية المحلية بالمجالات الهشة. ويزخر المغرب بأكثر من200منتوج مجالي(وكالة التنمية الفلاحية،2021) وللاستفادة من هذا التنوع، وضعت وزارة الفلاحة والتنمية القروية استراتيجية لتثمين المنتوج المجالي، تبدأ من التجميع الفلاحي وتأهيل الإنتاج إلى ولوج الأسواق.

تزخر الواحات المغربية بتنوع بيولوجي نباتي، وتعتبر أشجار النخيل أهم ثروة نباتية بهذه المجالات، ومن أقدم الأشجار المثمرة بالمغرب، وتشكل تراثا طبيعيا في ارتباط وانسجام مع الموروث الثقافي المحلي الخاص (شحو والطيلسان،2016)، حيث تصل مساحتها حوالي 60 ألف هكتارا وتضم حوالي 6.9 مليون نخلة (أوبها،2021) وتعد العمود الفقري للاقتصاد الواحي، وتختزن هذه الواحات أصنافا متعددة من النخيل (الفقوس، الجهل، الخلط، بوستحمي وغيرها). وقد اكتسبت المجتمعات الواحية معارف وسلوكيات تجاه هذا المورد الاقتصادي، الشيء الذي مكنها من حمايته وتثمينه، وانبثق عن ذلك درايات خاصة في التعامل مع شجر النخيل، الذي يؤدي أدواراً بيئية داخل الواحة، من خلال خلق مناخ محلي، يحمي النباتات التحتية ضد تقلبات المناخ الخارجي الجاف، فالنخيل يلعب دور الستار العاكس الذي يحمي ويحفظ الواحات من التأثيرات الصحراوية الاقتحامية (الحراق وشطو، 2005).

ونظرًا للأهمية الكبرى التي يحتلها النخيل في المنظومة الواحية، شكل تثمين هذا المورد الترابي، أحد رهانات مخطط المغرب الأخضر بالمناطق الواحية، ومن أجل تأهيل قطاع التمور وجعله يساهم في تحقيق تنمية مستدامة بهذه المجالات، وضعت وزارة الفلاحة والتنمية القروية جملة من المشاريع الطموحة لتنمية هذا القطاع بواحات درعة الأوسط، في إطار الدعامة الثانية للمخطط الأخضر التي تهم الفلاحة التضامنية.

2- الإطار النظري والمنهجي للدراسة.

- **الإشكالية:** يعتبر شجر النخيل مكونًا أساسياً ضمن المنظومة الواحية، نظراً للأدوار التي يقوم بها، وتتراوح بين الدور البيئي والدور السوسيو-اقتصادي، حيث يشكل النخيل المورد الاقتصادي الرئيسي للساكنة المحلية، لكل هذه الاعتبارات يعد النخيل مورداً ترابياً يمكن الرهان عليه في التنمية المستدامة للمجالات الواحية، عبر إخضاعه لعمليات التثمين، التي تتطلب تطوير تقنيات الإنتاج التقليدي وانخراط الفلاحين في عملية التجديد الزراعي.

من هذا المنطلق، تحاول إشكالية الدراسة رصد محاولات تثمين التمور بواحات درعة الأوسط، والاكراهات التي تعترضها. ويمكن صياغة هذه الإشكالية في سؤالين رئيسيين: ما واقع حال تثمين منتجات التمر بدرعة الأوسط؟ وما هي أبرز الرهانات والتحديات المطروحة؟

- **الفرضيات:** لمعالجة هذه الإشكالية، طرحنا الفرضيات الآتية:
- تتعدد أشكال تدخلات الفاعلين لتثمين التمور بواحات درعة الأوسط.
- يواجه تثمين التمور بواحات درعة مجموعة من الاكراهات مرتبطة بالوسط الطبيعي ومحدودية التدخل.
- ضعف انخراط الفاعلين يساهم في الحد من نتائج عمليات التثمين.

3- مواد وطرائق العمل:

أهداف الدراسة:

تحاول هذه الدراسة، رصد مختلف تدخلات الفاعلين لتثمين قطاع التمور بواحات درعة الأوسط، بداية بإنشاء "شركة تمور زاكورة" إلى الأهداف الطموحة لمخطط المغرب الأخضر، بالإضافة إلى إبراز الإمكانات التي توفرها هذه المجالات من حيث كميات الإنتاج وأنواع التمور المنتشرة بها، والوقوف على مختلف الاكراهات التي تقف حاجزاً أمام تنمية قطاع النخيل. وذلك بتوظيف المنهج الوصفي التحليلي وتقنية الاستمارة الميدانية.

منهج الدراسة وأدواتها: اعتمدنا في معالجة إشكالية الدراسة على المنهجين الآتيين:

- **المنهج التوثيقي:** من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة والتقارير الرسمية حول الظاهرة المدروسة، ومن حيث دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع التي همت موضوع تثمين المنتوجات المحلية بالمجال الواحي.
- **المنهج الوصفي التحليلي:** اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج الأكثر ملاءمة لطبيعة الدراسة، ويهدف هذا المنهج إلى وصف خصائص إنتاج التمور بدرعة الأوسط، وتدخلات الفاعلين لتثمين منتوج التمور، والتعبير عن هذه الخصائص كمياً ونوعياً.
- **أدوات الدراسة:** من أجل تجاوز النقص الموجود في المعطيات الرسمية، والإحاطة بموضوع الدراسة، تم اللجوء إلى الاستمارة الميدانية، بالإضافة إلى أسلوب الملاحظة:

❖ **الاستمارة الميدانية:** تكتسي الاستمارة الميدانية أهمية كبرى في الأبحاث الاجتماعية، لكونها تساهم في تجاوز النقص الحاصل في المعطيات الإحصائية الرسمية، ولمعالجة إشكالية الدراسة، تم اللجوء إلى استخدام أسلوب العينة العشوائية القصدية الممثلة لمجتمع الدراسة، فقمنا بتوزيع استمارة ميدانية على 300 فلاح يمثلون الواحات الست بدرعة الأوسط.

❖ **المعاينة الميدانية:** يشكل الميدان المختبر الحقيقي للجغرافي، حيث يعبر عن تجليات الظاهرة المدروسة والإشكاليات التي تطرحها، في هذا الإطار قمنا بمجموعة من الزيارات الميدانية، لرصد الظاهرة المدروسة، والاستعانة بالصورة للتوثيق.

موقع الدراسة:

تقع واحات درعة الأوسط بين خطي العرض 29.85°و31° شمالا، ويمر وسطها خط الطول 6° ، (أوبها،2021) ويفصل حوض درعة بين القسم الشرقي والقسم الغربي للأطلس الصغير، يحده شمالا جبل صاغرو، أما من جهة الجنوب تحده حمادة درعة، وفي الغرب جبل باني.

إن وجود واحات درعة الأوسط في مجال انتقالي، بين السفوح الجنوبية الشرقية لجبال الأطلس والصحراء، جعل هذا المجال يتميز بتنوع المشاهد الطبيعية، التي يتداخل فيها الجبل والواحة والصحراء، مما منح درعة الأوسط خصوصية جغرافية، تشكل دعامة أساسية لبناء أي مشروع ترابي يسعى إلى تعزيز الجاذبية الترابية لهذا المجال وتدعيم هويته.

ومن الناحية الإدارية، تقع واحات درعة الأوسط ضمن نفوذ إقليم زاكورة، الذي أحدث بعد تقسيم إقليم ورزازات الشاسع بموجب المرسوم رقم 281 - 97 -2 بتاريخ فاتح ذي الحجة 1417 هجرية الموافق لـ 9 أبريل 1997 ميلادية (منوغرافية إقليم زاكورة، 2016) وينتمي إلى جهة درعة تافيلالت.

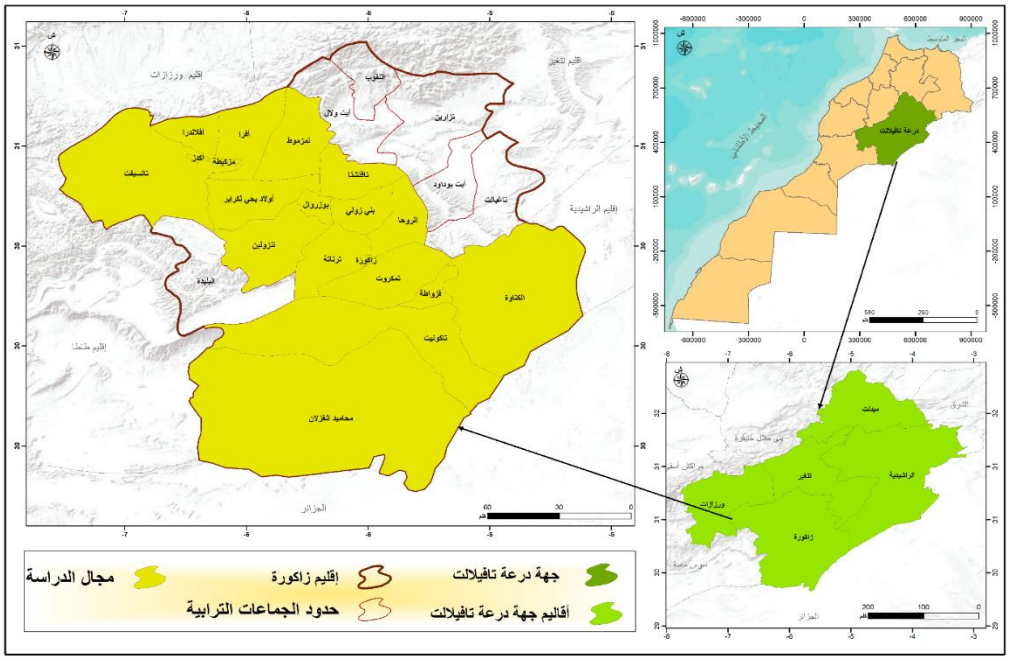

خريطة (1): توطين مجال الدراسة

المصدر: الخريطة الإدارية لإقليم زاكورة، باعتماد برنامج نظم المعلومات الجغرافية arc gis

مفاهيم الدراسة

النخيل: الاسم العلمي لنخيل الثمر هو *Phoenixdactylifera* وتنقسم إلى جزئين: الأول*Phoenix* يقصد بها عند الإغريق في عصور ما قبل التاريخ شجرة الفينيقيين، أما القسم الثاني *dactylifera* مشتق من كلمة *dactylos* التي تعني الأصابع (جروني،2016). تضم العائلة النخلية حوالي 240 جنسًا وحوالي 4000 نوعًا تنتشر في المناطق المدارية وشبه المدارية، وهي شجرة دائمة الخضرة ووحيدة الجنس وثنائية المسكن، فالأزهار الذكرية تحمل على شجرة والأنثوية تحمل على شجرة أخرى (جروني،2016)، مما يستدعي ضرورة التدخل بعملية التلقيح. وتنتشر زراعة النخيل التمري بالأحواض الواحية المغربية، في إطار نظام زراعي يتميز بضيق المساحات الزراعية وندرة الموارد المائية، مما فرض على المزارعين نظامًا زراعيًا ينقسم إلى ثلاث مستويات نباتية (عودة،2019)، مستوى علوي يشمل شجر النخيل، ومستوى متوسط يضم الأشجار المثمرة مثل الرمان واللوز، ومستوى سفلي يشمل المزروعات الموسمية مثل الحبوب والخضروات.

الواحة: تتفق أغلب تعاريف الواحة، على أنها تشكل منظومة بيئية متكاملة الأبعاد، ويعتبر الماء العنصر الأساسي ضمن هذه المنظومة، التي لعب الإنسان دورا هاما في تشكيلها، ويعرفها *Pierre George* في معجمه حول المصطلحات الجغرافية، بأنها" مجال للاستقرار في وسط محيط قاحل (مهدان،2012). أما محمد بن شريفة فيعرف

الواحة بأنها" ذلك المجال المنتشر على بعض المئات من الهكتارات وتنتشر بها حضارة مائية بمكوناتها التقنية، كأشكال تعبئة المياه وتوزيعها ونظامها الاجتماعي المتمثل في حقوق المياه وكذا التوازي بين المورفولوجية الاجتماعية وأشكال توزيع المياه، ثم العلاقة بين قوانين المياه والتراتب الاجتماعي والهوية الفردية والاجتماعية"(مهدان،2012)

التثمين: عنصر أساسي في تنمية المجالات الترابية، من خلال إطلاق مبادرات وتفعيل ديناميات تندمج فيها الموارد البشرية والموارد الطبيعية والتراثية، تفضي إلى انطلاق أنشطة اقتصادية جديدة ومجددة، وخلق فرص للشغل ومصادر للدخل، وبلورة منتوجات محلية متفردة (موساوي،*2012*) والهدف من ذلك تقوية تنافسية المجالات الترابية وتدعيم هويتها، وتقتضي عملية تثمين الموارد الترابية ضرورة إدراجها في إطار مشروع ترابي مهيكل ومندمج، يرتكز على إستراتيجية تنموية تروم النهوض بالمجال الترابي.

المنتوجات المجالية: تتميز المنتوجات المجالية بأصالة مرتبطة بالمجال الترابي الذي تنتمي إليه، وتشكل عنصراً مميزاً له، وتكتسب المنتوجات المجالية تميزها من خصوصيات الوسط الذي يحتضنها، مثل الخصائص الجيولوجية والمناخ والتضاريس، والدرايات المكتسبة (أيت يونوس ،2014)، وتحيل المنتوجات المجالية على أصالة التراث المحلي، وتعتمد معيار السمعة والأصالة والجودة والاستخدام.

4- نتائج ومناقشة

1- إمكانات قطاع التمور بدرعة الأوسط: غنى وتنوع في حاجة إلى التثمين

1-1امتداد المجال الواحي

يتشكل مجال درعة الأوسط من ست واحات، تمتد من عالية الحوض نحو سافلته، وتشمل: واحة مزكيطة، واحة تنزولين، واحة ترناتة، واحة لكتاوة، وواحة المحاميد. وتفصل بين هذه الواحات خوانق طبيعية تسمى محليا "فم". ويصل طول الشريط الواحي انطلاقا من سد المنصور الذهبي، إلى واحة المحاميد حوالي 200 كلم، ومساحة إجمالية تناهز 37209 هكتار، أما مساحة الأراضي الصالحة للزراعة فتبلغ حوالي26118 هكتار (Monographie 2016 Agricole ;).

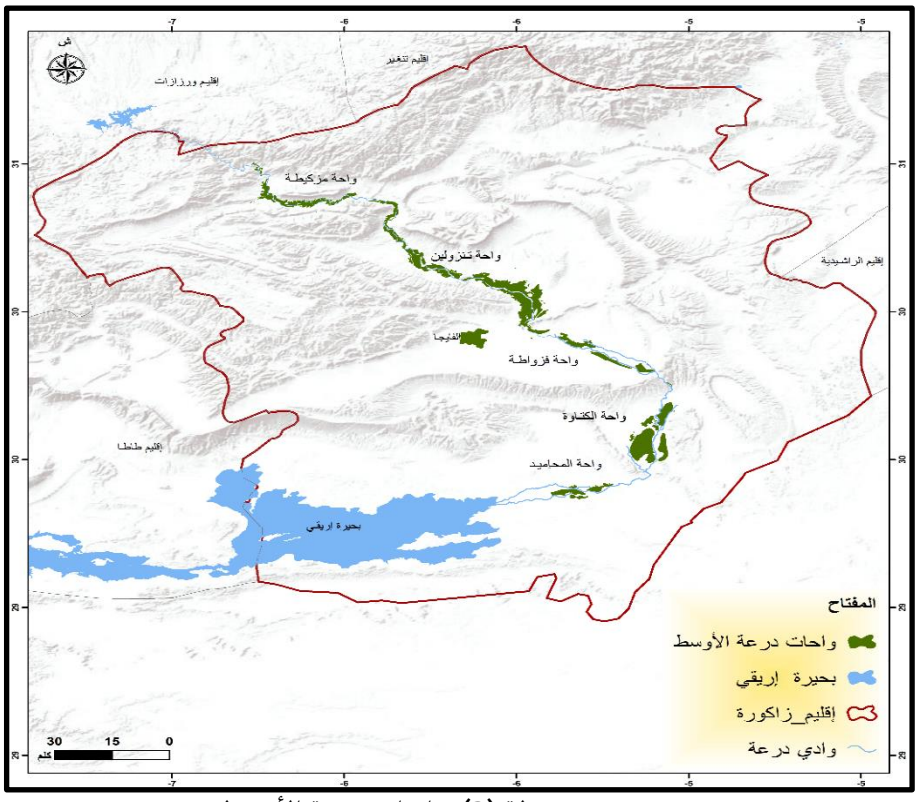

خريطة (2): واحات درعة الأوسط

المصدر: تم وضع الخريطة اعتمادا على قاعدة المعطيات التي يوفرها برنامج ArcGIS

2-1 أصناف التمور: تنوع كبير مع سيادة الأنواع المتوسطة والضعيفة الجودة

تتميز واحات درعة الأوسط بوجود تنوع كبير في أصناف التمور، مع هيمنة الأصناف ذات الجودة المتوسطة والضعيفة، مثل بعض أنواع "الخلط" و"بوتسحمي"، في حين لا تمثل الأصناف الجيدة سوى نسبة قليلة، ويفسر ذلك بكون الأصناف العالية الجودة أقل مقاومة لمرض"البيوض"

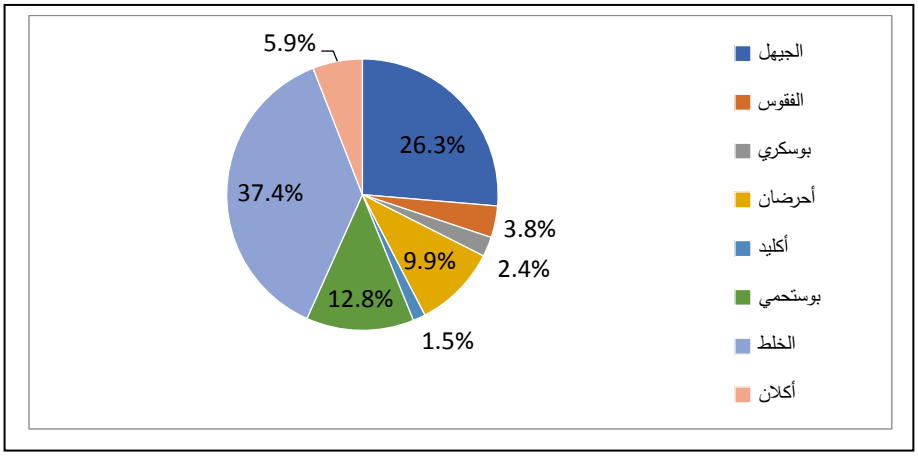

شكل (1): توزيع أصناف أشجار النخيل بواحات درعة الأوسط

المصدر: المقاطعة الفلاحية زاكورة، 2021.

يلاحظ من خلال الشكل رقم(1)، تباين في توزيع أصناف النخيل حيث يشكل الخلط نسبة 37.4% وهو ذي جودة متوسطة، أما "الفقوس"و"بوسكري"و"أحرضان"و"أكليد" فهي أنواع ذات جودة عالية لا تتعدى نسبتها مجتمعة 20%، مما ينعكس سلباً على مداخيل الفلاحين، وعليه يجب التفكير في ضرورة تجديد النخيل بدرعة الأوسط، من خلال الأصناف الجيدة والمقاومة لمرض البيوض.

3-1 تذبذب إنتاج التمور بدرعة الأوسط

يرتبط إنتاج التمور بواحات درعة الأوسط بمعطيات الوسط الطبيعي الهش، فتعاقب سنوات الجفاف أدى إلى تراجع الإنتاج، ومردودية النخيل بدرعة الأوسط شديدة الارتباط بما تتلقاه الواحة من موارد مائية قادمة من عالية الحوض، حيث يتم تغذية الفرشة المائية انطلاقا من طلقات سد المنصور الذهبي، أو الفيضانات التي تعرفها بعض روافد درعة بين الفينة والأخرى.

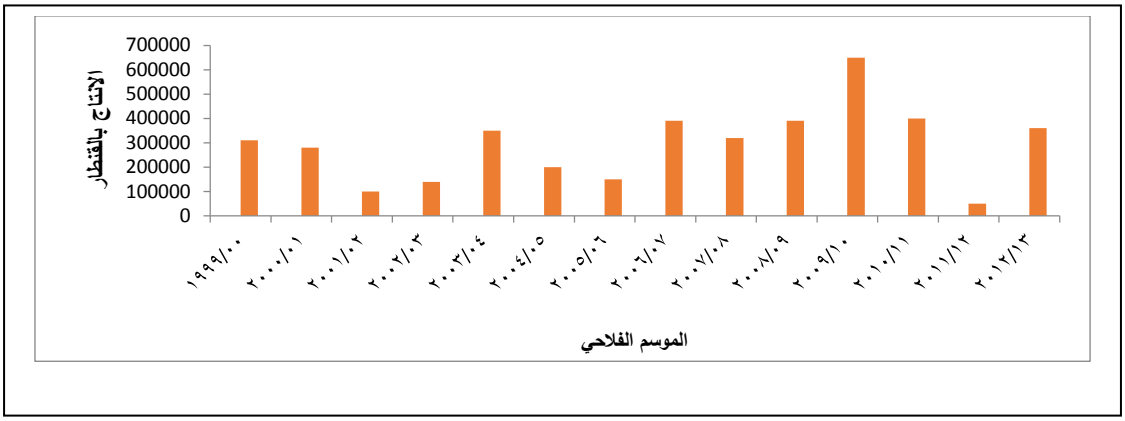

شكل (2): تطور انتاج التمور بواحات بدرعة الأوسط

المصدر: المنوغرافية الفلاحية لإقليم زاكورة2016.

من خلال معطيات شكل رقم(02)، يتضح تذبذب إنتاج التمور بواحات درعة الأوسط، حيث عرف الإنتاج ذروته خلال الموسم الفلاحي2009/2010، وذلك نتيجة التساقطات المطرية الاستثنائية التي شهدها حوض درعة خلال هذا الموسم. بينما تراجع الإنتاج إلى أدنى مستوياته خلال الموسم الفلاحي 2011/2012 بفعل شح الموارد المائية.

4-1 الدرايات المحلية

يمتلك الفلاح الذي يزرع بنظم الواحات معرفة جيدة، في مجال التعامل مع النخيل، وهي معارف اكتسبت عن طريق التجربة العملية، وانتقلت من جيل إلى آخر، فقد ابتكر الفلاح الواحي تقنيات وأساليب متعددة في غراسة أشجار النخيل، وفي طرق التلقيح والجني وتخزين التمور. اضافة إلى أشكال العمل الجماعي التقليدي التي ماتزال سائدة كما يتجلى ذلك في مجال تدبير مياه السقي، ويعتبر هذا الموروث بمثابة مجال خصب لنمو أشكال مختلفة من التنظيمات لتحسين الإنتاج كما هو الشأن بالنسبة للمبادرات المنطلقة من التعاونيات (أحجو والزينبي، 2006).

2- تثمين الثمور بواحات درعة الأوسط: واقع الحال

1-2 مجهودات التحديث الفلاحي بدرعة الأوسط: طموح يصدم بهشاشة المنظومة الواحية

بعد الحصول على الاستقلال، شرع المغرب في وضع مخططات تنموية طموحة، شكلت الفلاحة أهم القطاعات الإستراتيجية ضمنها، باعتباره رافعة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، في هذا الإطار شرع المغرب في التجهيز الهيدروفلاحي للمجالات السهلية الكبرى بالمغرب.

وبدأت عملية التحديث الفلاحي بدرعة الأوسط بإنشاء سد "أحمد المنصور الذهبي" في عالية درعة بزاوية "النورباز" جنوب مدينة ورزازات. وبالموازاة مع تشيد السد، شرع في تجهيز واحات درعة الأوسط بسواقي إسمنتية عصرية، كان الهدف منها ري الواحات الخمس، والنهوض بقطاع الزراعة. لكن تعاقب سنوات الجفاف، وعدم ملاءمة المشروع لخصوصيات المجال الواحي، والمتمثلة في ضعف الموارد المائية وعدم كفايتها لتزويد السواقي الإسمنتية بالمياه وزحف الرمال، بالإضافة إلى الاكراهات المرتبطة بتعقد الوضع العقاري للأرض، وشدة تجزئ الملكية بفعل عامل الإرث، كلها عوامل تضافرت، لتساهم في فشل مشروع طموح، لم يأخذ بعين الاعتبار توازنات المنظومة الواحية الهشة.

صورة رقم (1): تظهرا الوضع الذي آلت إليه السواقي الحديثة بواحة فزواطة

المصدر: البحث الميداني بتاريخ:2021/02/16

2-2 تجربة شركة تمور زاكورة: مشروع مهيكل آل إلى الفشل

بعد بناء سد المنصور الذهبي بعالية حوض درعة، والقيام بعمليات التجهيز الهيدروفلاحي، تم التوجه نحو تثمين منتوج التمور، بإنشاء" شركة تمور زاكورة" سنة 1978 بطاقة تخزينية قدرها 2500 طن، وطاقة إنتاجية سنوية قدرها 600طن (الحراق وشطو،2005). وقد بلغت تكلفة المشروع حوالي 22.5 مليون درهم.

نشطت شركة "تمور زاكورة" لمدة 13سنة، ابتداءً من الموسم الفلاحي 1981/1980 إلى غاية الموسم 1993/1992، وكانت عمليات المعالجة تشمل: تعبئة التمور الكاملة النوى وعجينة التمر وحلويات التمر والتمور المنزوعة النوى المحشية باللوز أو المكبوسة، بالإضافة إلى استغلال نوى التمر وبقايا الفرز في صناعة علف الماشية. ويوضح المبيان التالي كميات التمور التي تمت معالجتها خلال فترة اشتغال المصنع.

شكل (3): تطور كميات التمور المعالجة من طرف شركة تمور زاكورة، خلال فترة 1980-1993.

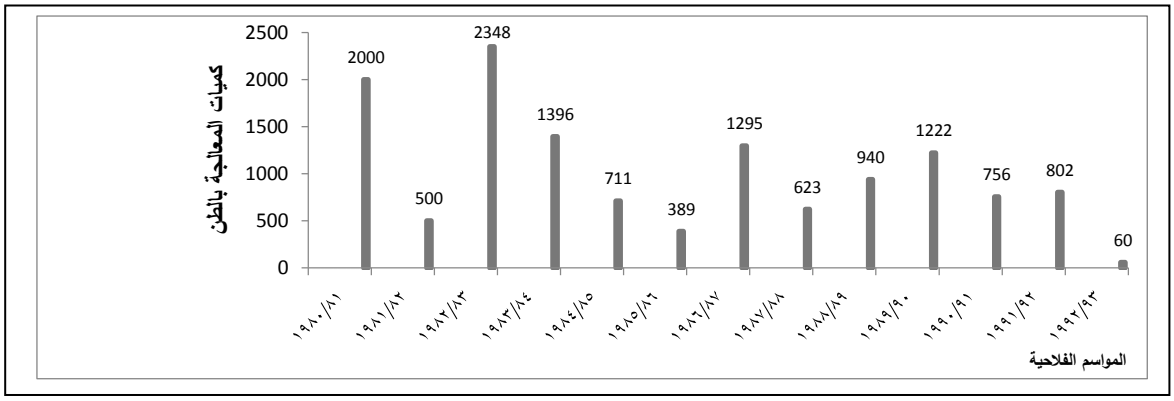

المصدر: المقاطعة الفلاحية زاكورة 2021.

يتبين من الشكل رقم (3)، مدى تباين كميات التمور المعالجة من طرف الشركة، وأن الاتجاه العام لتطور التمور المعالجة كان يسير نحو التراجع إلى أن وصل إلى 60 طن في الموسم الفلاحي 1992/1993، مما يوضح أن تأثير المصنع على مستوى تثمين التمور بدرعة الأوسط كان محدوداً جداً، فكميات التمور المتداولة خارج نطاق المصنع تفوق بعشرات المرات ما يتم تثمينه.

لقد تداخلت عوامل متعددة لتساهم في فشل" شركة تمور زاكورة" ومن أهمها الإكراهات المرتبطة بالوسط الطبيعي للواحة، بالإضافة إلى الأسباب المرتبطة بحكامة المتدخلين في المشروع، حيث ضعف التنسيق بين المصنع والفلاحين وباقي الفاعلين في مجال الإرشاد الفلاحي، ساهم في عدم بناء علاقات الثقة بين الفلاح والشركة، كما أن المصنع واجه مشاكل في تسويق المنتوج.

2-3 المخطط الأخضر وتثمين تمور درعة الأوسط: طموح من أجل الارتقاء بالفلاحة التضامنية

يهدف مخطط المغرب الأخضر إلى النهوض بالقطاع الفلاحي وجعله رافعة للتنمية السوسو-اقتصادية، عبر تسريع النمو وتقليص الفقر وتقوية اندماج الفلاحة في الأسواق الوطنية والدولية (وزارة الفلاحة، مخطط المغرب الأخضر،2020). وتتمحور استراتيجية المخطط على مقاربة شاملة، تغطي جميع الفاعلين على اختلاف أهدافهم، وتركز على دعامتين أساسيتين وهما الفلاحة العصرية والفلاحة التضامنية.

2-3-1 مشاريع المخطط الأخضر بدرعة الأوسط

يشكل تثمين المنتجات المجالية أهم الأهداف الاستراتيجية للمخطط الأخضر، باعتبارها بديلاً واعداً للتنمية المحلية المستدامة لاسيما بالمناطق النائية (وكالة التنمية الفلاحية،2020). في هذا الإطار وضعت وزارة الفلاحة والتنمية القروية مشاريع طموحة للنهوض بقطاع التمور وإعادة تأهيل قطاع الإنتاج، من خلال الدعم المقدم للفلاحين في مجال تحسين جودة ومردودية المزروعات وتطوير تقنيات السقي وإنشاء وحدات للتبريد. وقد بلغت تكلفة المشاريع المنجزة ذات العلاقة بتثمين التمور حوالي 463 مليون درهم، وتروم هذه المشاريع تحسين تكثيف شجرة النخيل على مساحة تصل إلى 17 ألف هكتار، ورفع حجم الإنتاج من 45 ألف طن إلى حوالي 60 ألف طن، بالإضافة إلى تنظيم وتأطير الفلاحين. ووصل عدد وحدات تبريد وتثمين التمور المنجزة بإقليم زاكورة تسع وحدات بطاقة استيعابية تبلغ حوالي 2380 طن (المقاطعة الفلاحية زاكورة،2021).

2-3-2 الفاعلون في مجال تثمين التمور بدرعة الأوسط

2-3-2-1 المجموعة ذات النفع الاقتصادي "تمزموط": مشروع طموح من أجل تحسين شروط الإنتاج

تشكل المجموعات ذات النفع الاقتصادي، إطاراً تجميعياً للتعاونيات الفاعلة في مجال تثمين التمور بدرعة الأوسط، من أجل تحسين شروط الإنتاج وتكثيفه وتعزيز مردودية النخيل، وفي هذا الإطار تأسست "المجموعة ذات النفع الاقتصادي تمزموط".

بدأ تشغيل وحدة إنتاج وتثمين التمور بجماعة تمزموط في شهر يناير 2014، وتصل سعتها حوالي 400 طن، وتديرها مجموعة ذات النفع الاقتصادي تمزموط- تنزولين، وتضم 15 تعاونية وينخرط في نشاطها ما مجموعه 567 فلاح. وتم انجاز هذا المشروع في إطار مخطط المغرب الأخضر، الذي يسعى إلى تثمين المنتجات المجالية للمناطق النائية بشراكة مع الوكالة البلجيكية للتنمية.

تهدف هذه الوحدة إلى حفظ منتوج التمر وإعطائه قيمة مضافة، إلى جانب الابتكار المستمر في نوعية التعليب والانفتاح على تحويل التمور إلى مشتقات، وذلك قصد تحسين دخل الفلاح الصغير.

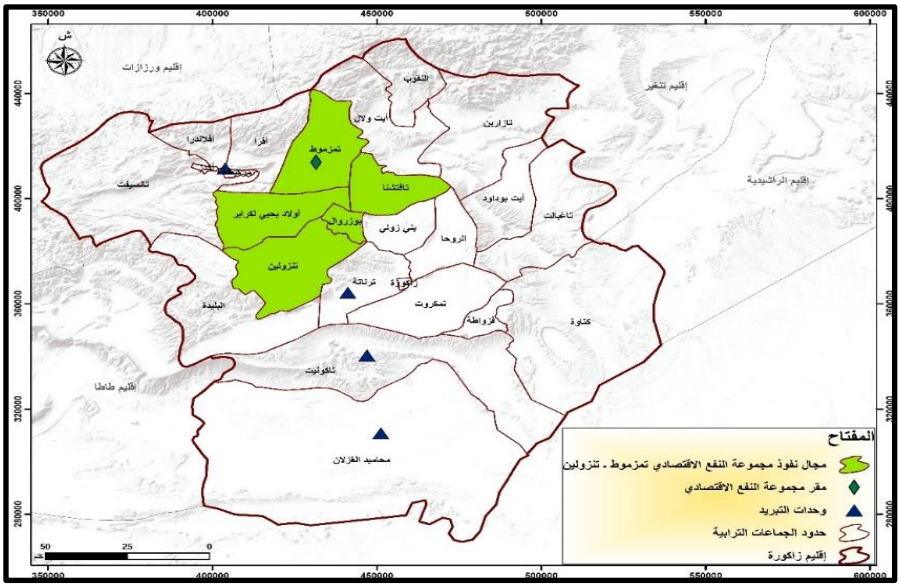

خريطة (3): المجموعة ذات النفع الاقتصادي تمزموط - تنزولين ومجال تأثيرها.

مصدر: معطيات البحث الميداني، وبرنامج نظم المعلومات الجغرافية ArcGIS

أ- عمليات مواكبة المشروع

يخضع مشروع المجموعة ذات النفع الاقتصادي تمزموط، لعمليات تقييم دورية من قبل فريق الوكالة البلجيكية للتنمية (تنمية سلسلتي الزعفران والتمور)، ومن أجل مواكبة المشروع والحرص على تحقيق شروط نجاحه، يقوم المشرفون على المشروع بمواكبة الفلاحين المنخرطين والأطر التقنية المشتغلة بالوحدة، من خلال:

- تنظيم دورات تكوينية لفائدة الفلاحين المنتمين للمجموعة، في مجال تسميد وسقي شجر النخيل وعمليات التلقيح وجني التمور، بشراكة مع المكتب الوطني للاستشارة الفلاحية. والهدف من هذه الدورات دفع الفلاحين إلى التخلي عن الممارسات التقليدية، وتبني الطرق العصرية في الإنتاج.
- دعم القدرات التدبيرية للفريق التقني المشتغل بوحدة تثمين التمور، بشراكة مع حساب وكالة تحدي الألفية-المغرب.

ب- أشكال تثمين منتوج التمور وطرق التسويق

تعمل المجموعة على معالجة تمور الفلاحين المنخرطين فيها عبر مجموعة من العمليات، وتشمل: الفرز والتبخير ثم التعليب. ويتم تسويق أغلب المنتوج نحو المساحات التجارية الكبرى بالمغرب، وشهدت منتجات المجموعة طلباً واسعاً من طرف المستهلكين المغاربة، وفاق الطلب في بعض الأحيان العرض، كما يتم تصدير جزء من المنتوج نحو الخارج.

صور (2. 3. 4): بعض منتوجات المجموعة ذات النفع الاقتصادي تمزموط.

المصدر: البحث الميداني فبراير 2021.

2-3-2-2 التعاونيات غير المنخرطة في مجموعة النفع الاقتصادي: تجارب محدودة

تنشط بواحات درعة الأوسط عدد من التعاونيات الفلاحية الخاصة بتثمين التمور، والمنتوجات المجالية الأخرى كالحناء، وتعمل على تطوير طرق تعليب المنتوج واستخراج بعض مشتقات التمر، مثل: عجينة التمر، دقيق التمر، ومربى التمر، لكن يبقى عمل هذه التعاونيات محدوداً جداً في ظل عزوف الفلاحين عن الانخراط في العمل التعاوني.

جدول (1): عدد تعاونيات تثمين التمور وعدد المنخرطين بها بدرعة الأوسط (إلى حدود سنة 2020)

عدد تعاونيات تثمين التمور بدرعة الأوسط	عدد المنخرطين
71	1607

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي ورزازات 2021

كما يوضح الجدول رقم (1)، يبلغ عدد التعاونيات المختصة بتثمين التمور بدرعة الأوسط حوالي 71 تعاونية، ويصل عدد المنخرطين إلى 1607 فلاح، لكن يبقى تفعيل هذه التعاونيات وانخراطها في عمليات تثمين التمور محدوداً جداً، كما أن بعضها لا يتم تجديد هياكلها وتبقى حبيسة خلافات داخلية.

شكل (4): تطور عدد التعاونيات الفلاحية المختصة في تثمين التمور بين سنتي 1999 و2020.

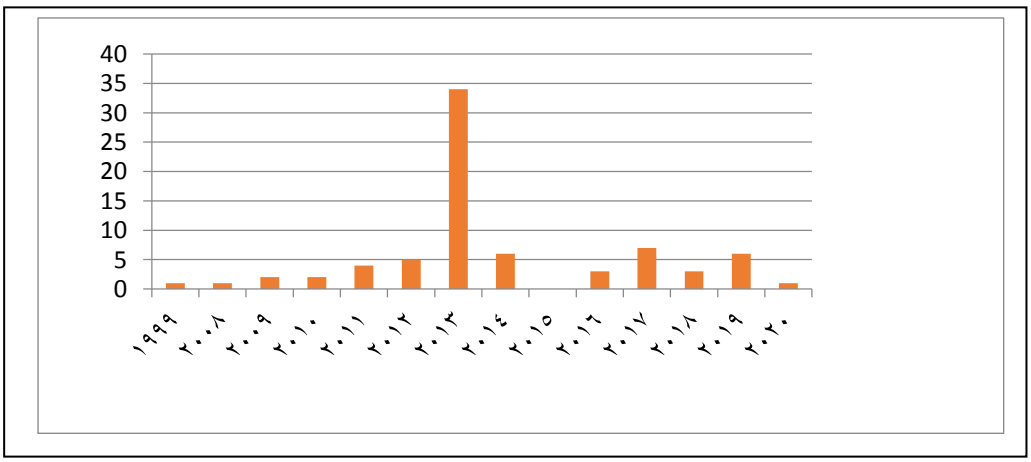

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات 2021.

يظهر الشكل رقم (4)، تطور عدد التعاونيات المختصة في تثمين التمور بدرعة الأوسط، التي تزايد عددها بعد سنة 2008، حيث وصل إلى ذروته في سنة 2013، يمكن تفسير هذه الدينامية في تأسيس التعاونيات الفلاحية، بالتحفيزات التي قدمها مخطط المغرب الأخضر في إطار الدعامة الثانية، والمتعلقة بالتجميع الفلاحي والدعم المادي والتقني للتعاونيات الفلاحية.

خريطة رقم (4): توزيع أعداد المنخرطين في التعاونيات بمجال الدراسة

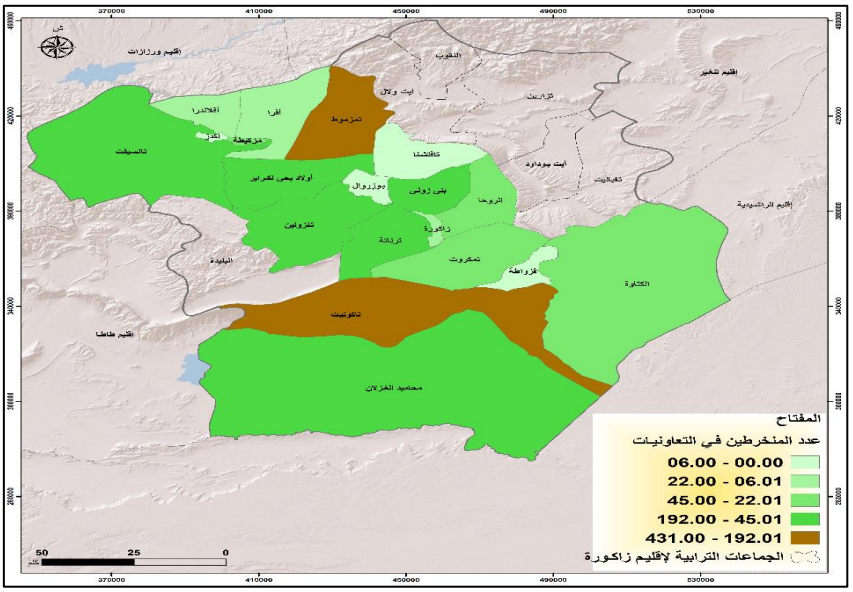

المصدر: مصدر المعطيات المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي (ورزازات)2021.

يتضح من الخريطة مدى تباين توزيع الفلاحين المنخرطين في العمل التعاوني بمجال الدراسة، حيث يظهر انخراط أكثر للفلاحين بجماعتي "تمزموط" و"تكونيت"، بالمقابل تعرف باقي الجماعات انخراط متوسط إلى ضعيف بباقي الجماعات الترابية، هذا التباين يفسر بقدرة المشرفين على تدبير التعاونيات في اقناع الفلاحين بأهمية الانخراط في التنظيمات التعاونية، ومدى جاذبية العمل التعاوني بالنسبة للفلاح الصغير.

صورتان (5-6): دقيق التمر، ومربى التمر، منتوج إحدى التعاونيات بجماعة زاكورة

المصدر: البحث الميداني، فبراير 2021

تحاول مجموعة من التعاونيات الفلاحية تثمين منتوج التمور صناعياً، من خلال استخراج بعض مشتقات التمر وتنويع العرض، لكن يبقى هذا العمل محدوداً في ظل غياب الدعم الفني للتعاونيات، وقلة عدد التقنيين المتخصصين في مجال التثمين الصناعي للتمور، مما يشكل عائقاً أمام هذا الطموح.

2-3-2-3 التثمين الفردي لمنتوج التمور

اتجه بعض منتجي التمور بدرعة الأوسط، إلى الاستثمار في مجال إنتاج التمر، باقتناء أراضي زراعية خارج الشريط الواحي، واعتماد تقنيات وأساليب إنتاج زراعية حديثة، من خلال تجهيز الاستغلاليات بتقنيات الري الموضعي واستعمال مكثف للأسمدة، وإدخال أصناف جديدة من التمور، مثل: "النجدة" و"المجهول"، وتخزين المنتوج في وحدات تبريد خاصة وتعليبه بطرق عصرية، ثم تسويقه نحو المساحات التجارية الكبرى.

صورة (7): صورة جوية لاستغلاليات زراعية عصرية بمنطقة"الفايجا"

المصدر: Google maps بتاريخ 2021/02/24.

تظهر الصورة الجوية رقم (7)، ظاهرة انتشار الاستغلاليات العصرية خارج الشريط الواحي، واعتمادها على السقي الموضعي والضخ المفرط للمياه في وسط صحراوي قاحل، يعاني من خصاص بنيوي في المياه، مما يعرض ديمومة الموارد المائية لخطر الاستنزاف.

3- موانع تثمين منتوج التمور بواحات درعة الأوسط

3-1 ضعف انخراط الفلاحين في العمل التعاوني

يشكل تجميع الفلاحين في إطار التعاونيات الفلاحية والمجموعات ذات النفع الاقتصادي، أحد أهم مداخل تنمية الفلاحة التضامنية، عبر دعم التحول نحو القطاعات الواعدة، وعصرنة تقنيات وأساليب الإنتاج، هذا المشروع الطموح اعترضه إكراه ضعف انخراط الفلاحين في عمليات التجديد وتحديث القطاع الفلاحي.

شكل(5): نسبة الفلاحين المنخرطين وغير المنخرطين في العمل التعاوني.

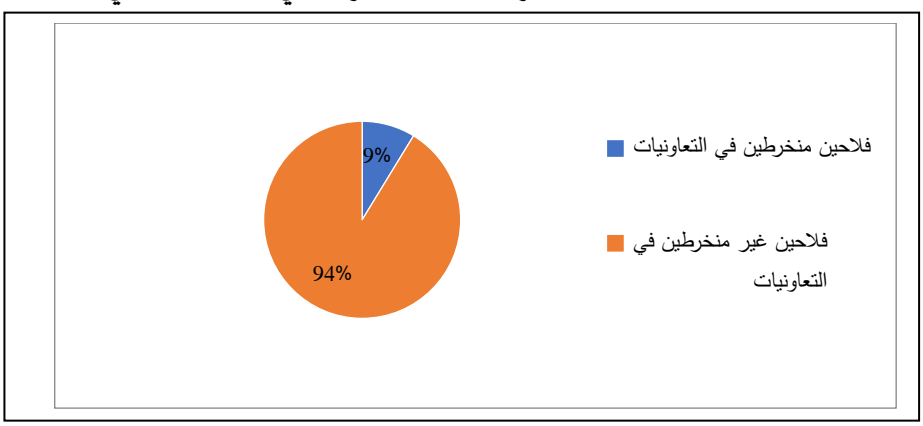

المصدر: بحث الميداني مع فلاحي المنطقة، فبراير 2021.

يظهر الشكل رقم (5)، ضعف انخراط الفلاحين في العمل التعاوني، حيث لا تتجاوز نسبة الفلاحين المنخرطين في التعاونيات الفلاحية 9%. وهي نسبة ضعيفة تبين فشل مشروع التجميع الفلاحي بدرعة الأوسط.

شكل (6): أسباب ضعف الانخراط في العمل التعاوني.

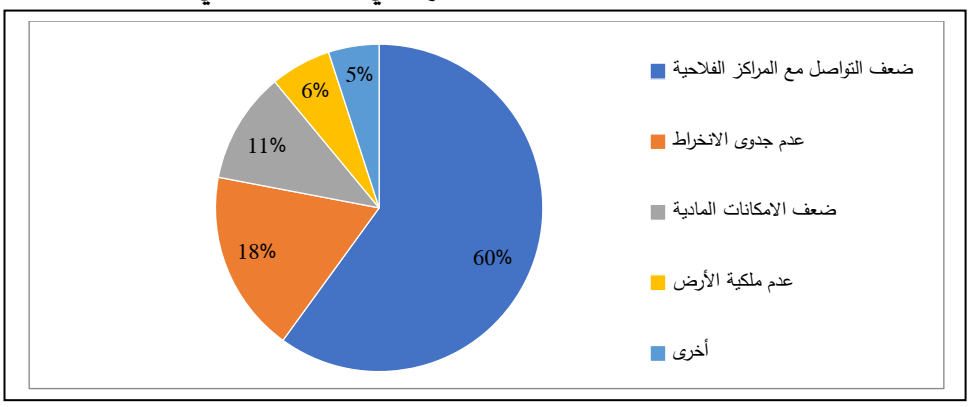

المصدر: بحث ميداني مع فلاحي المنطقة، فبراير 2021.

يفسر ضعف انخراط الفلاحين في العمل التعاوني بضعف آلية التواصل مع الفلاح الصغير، فنسبة 60% من الفلاحين صرحوا أنهم لم يتواصلوا مع المراكز الفلاحية، في حين صرحت نسبة 18% بعدم جدوى الانخراط، ونسبة11% بضعف الإمكانات المادية للفلاح وضيق مساحة المستغلات.

3-2 إشكالية تسويق المنتوج

يشكل تسويق منتوج التمر أهم مراحل التثمين، حيث تتوقف نجاح عمليات التثمين على مدى فعالية خطط التسويق. ومن خلال معطيات البحث الميداني يتبين أن التسويق التقليدي هو السائد في مجال الدراسة ويمثل84%، حيث يتم عرض المنتج في الأسواق الأسبوعية المنتشرة بإقليم زاكورة.

شكل (7): طرق تسويق منتج التمور.

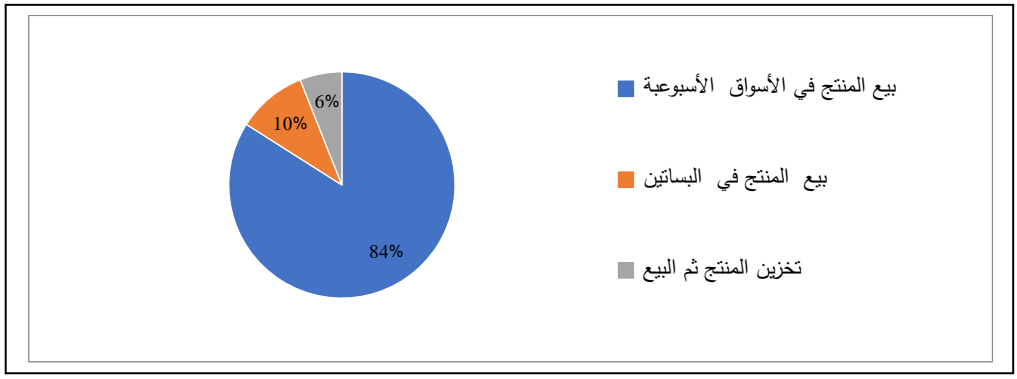

المصدر: بحث ميداني مع فلاحي المنطقة، فبراير 2021.

3-3 ضعف مواكبة الفلاحين

تشكل مواكبة الفلاحين الصغار وتعزيز قدراتهم أحد الدعامات الأساسية لنجاح مشاريع التنمية الفلاحية، وضمان انخراط المستهدفين في هذه المشاريع، وقد صرح حوالي 87% من الفلاحين، بأنهم لم يتلقوا أي دعم تقني أو تكوين في مجال الإرشاد الفلاحي. مما يوضح ضعف مواكبة مركز الاستثمار الفلاحي للفلاحين وغياب آليات التواصل مع الفلاحين الصغار.

3-4 صغر حجم الاستغلاليات

هناك علاقة بين حجم الاستغلالية وإمكانية التطور، فصغر حجم الاستغلالية لا يسمح بإدخال التقنيات الحديثة وتكثيف الإنتاج.

جدول (2): حجم الاستغلاليات الزراعية بواحة ترناتة (سنة2018)

حجم الاستغلالية	أقل من 0.5هـ	من 0.5إلى 1هـ	من 1 إلى 2هـ	من 2 إلى 6هـ	المجموع
النسبة	50%	35%	10%	5%	100%

المصدر: الدائرة الفلاحية زاكورة 2021.

يتبين من الجدول رقم (2)، أن 75% من الاستغلاليات حجمها أقل من واحد هكتار، مما يدل على سيادة الاستغلاليات المجهرية، هذا العامل يشكل تحدياً حقيقياً أمام مشاريع تطوير قطاع الزراعة بدرعة الأوسط، بالإضافة إلى عامل الإرث الذي يساهم بدوره في زيادة تجزيء الملكية، مما يفرض ضرورة ايجاد صيغ مناسبة لتجميع الفلاحين.

3-5 سيادة نمط تقليدي للإنتاج الفلاحي

إلى جانب صغر حجم الاستغلاليات وتفتتها، يسود نمط تقليدي ومتعدد في مجال الاستغلال، وانتشار كبير لتقنيات إنتاج تقليدية.

شكل (8): طرق الاستغلال بواحات درعة الأوسط

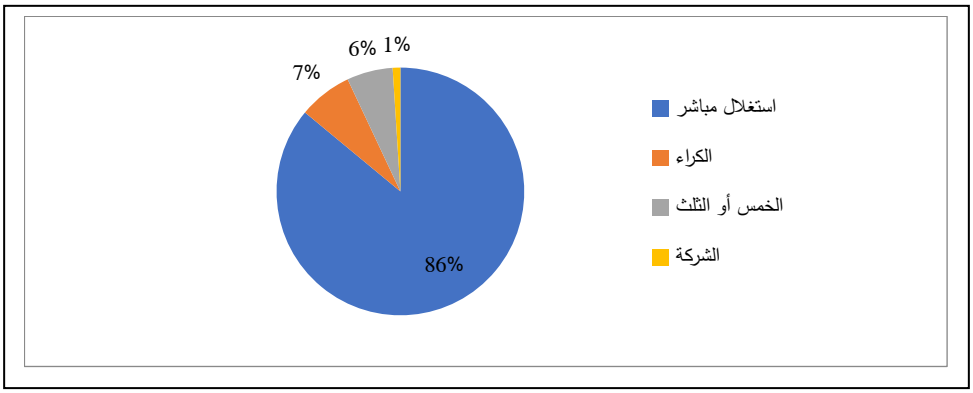

المصدر: البحث ميداني مع فلاحي المنطقة، فبراير2021.

يظهر الشكل رقم (08)، انتشار نظام الاستغلال المباشر الذي يمثل نسبة86%، مقابل ضعف أشكال الاستغلال الأخرى، حيث يلاحظ أن شكل الاستغلال" الخمس" الذي كان سائدًا بالواحة خلال عقود ماضية، قد تراجع بشكل كبير بل في طريقه إلى الاختفاء، وهذا مرتبط بالتحولات التي عرفتها البنية الاجتماعية والاقتصادية بالمجالات الواحية.

3-6 الاكراهات المرتبطة بالوسط الطبيعي: هشاشة المنظومة الواحية

3-6-1 إكراه الجفاف

يعتبر الجفاف السمة الغالبة على مناخ واحات درعة الأوسط، فكمية التساقطات لا تتعدى في الغالب 100ملم سنويا، مما يؤثر سلبا على الموارد المائية السطحية أو الجوفية، فالجفاف الذي يعرفه حوض درعة الأوسط

لم يعد جفافا مناخيا ناتجا عن قلة التساقطات المطرية، بل كذلك نابعا من سلوك الإنسان الواحي (الميموني،2018)، المتمثل في التدبير غير المستدام للموارد المائية.

شكل (9): مبيان المطر- الحري لزاكورة (1989-2018)

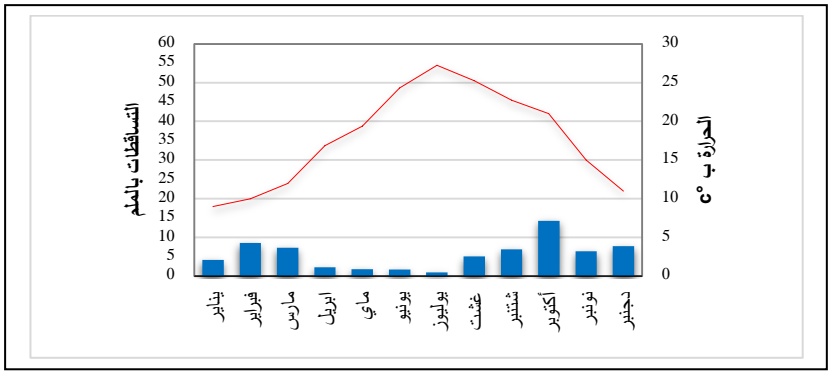

المصدر: محطة الأرصاد الجوية أسرير، زاكورة2021.

كما يظهر من المبيان المطر حراري، فإن الجفاف بواحات درعة الأوسط يعتبر خاصية أساسية للمناخ، مما يستلزم ضرورة الأخذ بعين الاعتبار هذا المعطى في برامج تنمية القطاع الفلاحي بمجال الدراسة.

3-6-2 زحف الرمال على الواحات

تشكل ظاهرة الإرمال مرحلة ضمن مسلسل طويل يعرف بالتصحر، حيث تمتد جيوب صحراوية داخل المجال الواحي، ويعبر التصحر عن درجة متطورة من اللاتوازن داخل الأنظمة البيئية، يترجم في تراجع قدرة الإنتاج البيولوجي للأرض، حيث تصبح عاجزة عن توفير الموارد الضرورية لعيش الإنسان. وقد شهد المجال الواحي لدرعة الأوسط تراجعاً كبيراً. وتتعدد العوامل المسؤولة عن تزايد ظاهرة التصحر بواحات درعة الأوسط، ويمكن إجمالها في تحولات الوسط الطبيعي، وتزايد الضغط على الموارد الطبيعية من طرف السكان.

3-6-3 تملح التربة

يشكل تملح التربة عائقا أمام الزراعة المسقية بحوض درعة الأوسط، فعملية ري النخيل وارتفاع معدلات التبخر، يساهم في ازدياد نسبة ملوحة التربة، مما يتسبب في عدم الاستقرار الهيكلي في قطاع التربة، بفعل ارتفاع تركيز الصوديوم، الذي يتراكم في التربة بعد كل عملية ري، مما يؤدي إلى تراجع قدرتها الإنتاجية.

جدول (3): متوسط الملوحة بواحات درعة الأوسط

الواحة	مزكيطة	تنزولين	ترناتة	فزواطة	كتاوة	المحاميد
متوسط الملوحة ل/غ	1.5	2.5	2.5	4	5	5

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي ورزازات2021.

يظهر الجدول رقم (3)، معدل الملوحة بواحات درعة الأوسط، حيث تتزايد الملوحة كلما اتجهنا نحو الواحات السفلى، ويرتبط ذلك بتزايد شدة التبخر.

3-6-4 مرض البيوض

يعتبر مرض البيوض من أخطر أمراض نخيل التمر، تم تسجيل المرض لأول مرة في 1887 بزاكورة بالمغرب، وفي عام 1940 انتشر في واحات عديدة في المغرب، وقضى على أكثر من 65% من النخيل بالمغرب (موقع الكتروني

biotech-ecolo.net). يشكل هذا المرض تحديا أمام زراعة النخيل بواحات درعة الأوسط، نظرا لصعوبة مكافحته وسرعة انتشاره، كما يهاجم الأصناف الممتازة، مثل: "الفقوس"و"المجهول "و" أحرضان".

المستخلص

يتضح مما سبق، بأن تدخلات مختلف الفاعلين للنهوض بقطاع التمور، تواجه تحديات كبرى، مرتبطة أساسا بهشاشة المنظومة الواحية، مما يتطلب ضرورة مراجعة المقاربات التنموية المنتهجة في التعامل مع هذه المجالات، من خلال تبني نماذج تنموية جديدة، تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات المجال الواحي، وتنطلق من مبدأ استدامة الموارد الطبيعية، وإشراك الفلاحين الصغار في المشاريع التنموية، واستهدافهم بالدعم المادي والتقني، لضمان انخراطهم في برامج تثمين منتوج التمور.

بناءًا على النتائج السابقة، من أجل النهوض بمنتوج التمور، وجعله أحد دعامات المشروع الترابي لمجال درعة الأوسط، نقترح مايلي:

- من حيث مقاربة التدخل في المجال الواحي:
- إشراك الفلاحين الصغار في مشاريع التثمين، وتعزيز كل أشكال التواصل معهم.
- تشخيص ترابي تشاركي، يحدد مختلف الاكراهات والفرص المتاحة لتثمين منتوج التمور.
- وضع آليات فعالة لتجاوز مشكل تعقد البنيات العقارية.
- من حيث البرامج والمشاريع التنموية:
- استهداف الفلاحين الصغار بالدعم المادي والتقني.
- إنشاء مركز للبحث الزراعي بواحات درعة الأوسط.
- إنشاء وحدات للتجميع والتبريد على مستوى كل جماعة ترابية، وتيسير ولوج الفلاحين لهذه الوحدات.
- وضع برنامج شامل لإعادة تجديد النخيل وإدخال فسائل ذات القيمة المضافة العالية، وتعميمها على جميع الفلاحين.
- تنظيم قطاع الري على أسس جديدة تتجاوز الأنظمة التقليدية الموروثة.
- تشجيع انخراط الفلاحين في العمل التعاوني الجاد والمسؤول.
- تكوين الموارد البشرية في مجال التثمين الصناعي للتمور.
- إنشاء وحدات صناعية صغيرة نموذجية في مجال التثمين الصناعي للتمور في أفق تعميم التجربة.

المصادر:

1- البوزيدي، أحمد (1994). التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17- مطلع القرن 20) دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، منشورات أفاق متوسطية.

2- الميموني، ابراهيم (2018). أثر التغيرات المناخية والتحولات السوسيومجالية على تدبير الموارد المائية بواحات درعة الوسطى، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية.

3- الحراق، حسناء، وشطو، عبد العزيز (2005). دراسة تسويق التمور وتصنيعها واستغلال مخلفات النخيل والتمور ومنتجاتها العرضية بالمملكة المغربية، منشورات المعهد الوطني للبحث الزراعي.

4- أحجو، لكبير، والزينبي،أحمد توفيق (2006). تثمين تمور وادي درعة: مساهمة من أجل بناء استراتيجية مشتركة بين مختلف المتدخلين، ورد في " بيئة الواحات في مواجهة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية: فكيك نموذجا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ص75-82.

5- أيت يونوس، رشيد (2014). تثمين وتسويق المنتوجات الترابية، أية مساهمة في تنظيم سلسلة الزعفران بدائرة تالوين الأطلس الصغير الغربي، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير.

6- أوبها، محمد (2021). تمور ونخيل واحات درعة، دراسة تاريخية سوسيو- اقتصادية، سليكي أخوين طنجة.

7- شحو إدريس، محمد الطيلسان (2016). الاقتصاديات الرفيعة كبدائل استدامة بواحات تافيلالت، ورد في " تنظيم وتهيئة المجال الريفي بالمغرب أبحاث وتدخلات"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ص 217-246.

8- عبد الباسط، عودة إبراهيم (2019). زراعة النخيل وجودة التمور بين عوامل البيئة وبرامج الخدمة والرعاية، جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي، الإمارات العربية المتحدة.

9- عيسى، جروني (2016). دراسة مقارنة لتأثير حبوب لقاح نخيل التمر الذكرية على صفات ثمار بعض الأصناف الأنثوية، أطروحة دكتوراه، كلية علوم الطبيعة والحياة، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر.

10- مهدان، امحمد (2012). الماء والتنظيم الاجتماعي، دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الاجتماعي للسقي بواحة تودغة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير.

11- موساوي، امحمد (2012). تثمين الموارد الترابية آلية لاستدامة التنمية المحلية بالمجالات القروية حالة جماعة إغزران، ورد في"التنمية القروية بالمناطق الجبلية الحاجيات والمنتظرات"، منشورات أشغال المنتدى الثاني للتنمية والثقافة بإغزران، ص222-251.

12- منوغرافية إقليم زاكورة، 2016.

13- موقع وزارة الفلاحة والتنمية القروية.http://www.agriculture.gov.ma/ar يوم 19مارس 20021

14- موقع وكالة التنمية الفلاحية./https://www.ada.gov.ma/ar يوم 26مارس 2021

15- موقع بيوتكنولوجيات.biotech-ecolo.net يوم 1أبريل 2021.

16- المقاطعة الفلاحية لزاكورة.